«المنزل ذو الشرفات السبع» مسرحية للكاتب الاسباني اليخاندرو كاسونا باخراج لهشام كفارنة:

رقصة المثلين كسرت ملل المشاهد!

دمشق ـ «القدس العربي» ـ من يارا بدر:

يتفق الكثير من الدارسين والمهتمين أنّ نص الكاتب الاسباني (أليخاندرو كاسونا 1903 ـ 1950) ربما ليس أكثر نصوصه جمالية أو أبرزها من الناحية الأدبية، الا أنّ هذا لا يعني عدم بَروز لمسات كاسونا الفلسفيةّ والجمالية في ثناياه، هذه اللمسات التي التقطها المخرج السوري هشام كفارنه مدُير المسرح القومي في وزارة الثقافة، ليقدمها على خشبة مسرح الحمراء بدمشق، مع طاقم مميُزٍ من الممثلين حيث نجحَ في مزج جيلين من المواهب.

بداية قد يتساءل القارئ أو المشاهد ما الذي يغُري مخرج سوري في العام (2006) بالعودة الى نص اسباني من أواسط القرن العشرين، وهذا زمن كتابة النص أمازمن الحدث في النص فيعود الى فترة تاريخية أقدم، في أواخر القرن التاسع عشر، وينقله عرضاً بكل أمانة؟

في حديث للمخرج كفارنه يُجيب قائلاً أن النص «يتميزّ بحبكة درامية مُتماسكة وشاعرية عالية تتقاطع مع ذهنيتي، اضافة للمتعة الجمالية في تركيب الأحداث وعمقها الانساني، وما تتضمنه من أفكار احتوتها حوارات شخصيات غنيةً بأبعادها ودلالاتها.

لقد سعيت للتأكيد على فكرة المقاومة كهدف أعلى للعرض، المقاومة بمعانيها المختلفة، والثمن الذي يدفعه المرء حين يكون مختلفاً، حين يكون مُتميزاً...».

اذاً، ما الذي قتلَ كل هذه الأفكار والنيّات الحسنة؟!

عرض يستمر لقرابة الساعة والنص، يكشف بكل شاعرية ملامح في الجمالية الانسانية وأخرى وحشيّة، والشرفات السبع تنقسم الى فضاءات للشخصيات... الخالة (خينوبيبا ـ جيانا عيد) والفتى الصامت (مانويل ـ جابر جوخدار) شخصيات الحلم، الطهارة، والزمن الماضي، زمن البراءة..

(رامون ـ زيناتي قدسية) وخادمته (أماندا ـ أمانة والي) الزمن الحالي، الوحشي، زمن العقلية المادية، وحتى ضمن هذا التقسيم تتوزع الشخصيات، ففي حين هدف (أماندا) هو الثروة ولقب النبالة وسيادة المنزل، كان ضعف (رامون) هو خطيئته، ضعفه أمام الملذات، أمام الخمر والسلطة والنساء، فرامون يرفض ادراك الواقع الجديد، ويبقى محتفظاً بفكرته عن الماضي الجميل و عن سيادته وسلطته، وادراكه للحاضر متوقف عند ضرورة المحافظة على هذا الحلم مهما كان الثمن.

التوقف المطلق عند لحظة معينة في الزمن الماضي هو ما يُميز الخالة غريبة الأطوار «خينوبيبا»، الحنونة والجميلة، التي أوقفت حياتها لحظة ودَعها حبيبها الذي سافر، وبعد تلك اللحظة اكتفت بعملية انكار ذاتية، انكار لكافة أشكال الواقع، مُجرّد حذفها من الوجود في حياتها لتحفظ في ذهنها فقط رسالة حبيبها الأخيرة، المحملة بوعد العودة، رافضة حتى تصديق رسالته التي أخبرها فيها بعدم عودته وبزواجه من أخرى... وفي النهاية ينَفيها الواقع وأبطاله (أماندا ورامون) الى غياهب الماضي، لتسكن الى الأبد مع أحلامها... وهكذا تنتصر غاية «الأمير» مهما كانت الوسيلة، لأن الحياة لا تحتمل التوقف مع لحظة في الماضي، بل تستمر بكل شراستها وجماليتها، والبقاء فيها للأقوى!

«مانويل» يتشاطر مع خالته لغة واحدة، هي الغرابة. ويُشاطرها الجمال وشفافية الحلم... يقول «هيغل» في مَعرض حديثه عن الأبطال التراجيديين: أنهم أبطال يسقطون اما لأنهم أتوا مُتأخرين عن زمنهم أو سابقين له». و«مانويل» متأخر عن زمنه، صوته هو موسيقاه، وصمته هو سلاحه للحفاظ على نقائه بعيداً عن قسوة العالم الواقعي ووحشيته. وهذا يُحيلنا الى الصراع في هذا العرض، فهو صراع بين «الخير/ الحلم» و«الشر/ الواقع ـ المادية» بين الألوان البيضاء بتدرجاتها المختلفة والألوان الضاجة الفاقعة من الأحمر والأخضر والزهري... كما هو صراع خفي في الأعماق بين (مانويل ووالده رامون)، ومن الميكافيلية الى الأوديبية يبقى الجوهر الانساني، تبقى الحرية التي لا يُمكن أن تتحقق سوى بالموت.

ينَجح المخرج «كفارنة» في تشكيل فضاءات صراعه درامياً، بدلالات ألوان الملابس (سحاب الراهب) وموسيقى (جوان قرجولي) حيث كان الغيتار، أصالة الروح الاسبانية بموسيقى حزينة حالة هو سلاح «مانويل» وعشقه، في حي كانت رقصة «الفلامينغو» هي دلالة العلاقة المندفعة التي تحمل صراعات السيطرة والقوة بين «أماندا ورامون» والرقصات لـ(واثق سليمان). في ديكور (زهير العربي) الذي قسمّ شرفات المنزل السبع الى فضاءات تسكنها عوالم هذه الشخصيات المتناقضة.

عبر كل هذه العناصر استطاع كفارنة رسم العالم الصراعي، ونقل أجواء الحدث زمانياً ومكانياً، وعلى الرغم من كل هذا، فقد خسرَ كفارنة!! خسر صالة العرض وجمهوره، فالمشاهد لا يتعاطف مع كل هذه الجمالية والأحلام المغتالة، بل يقّر بواقعيةّ كل من (أماندا ورامون) ولو كانت وحشيّة. فالاختلاف هنا أتى سلبياً، أتى ضعفاً وانهزام، ينتهي بالانسحاب بعيداً حتى الموت. وتنكسر موسيقى الحلم الحزينة، الحلم ولو بالحريةّ، فمانويل و خينوبيبا لا يُدافعان عن هذه الأحلام ولا يحاربان لأجلها، بل يكتفيان بالحلم. وفي هذا الكثير مما يُذكر بشخصيات الكاتب الروسي الكبير «أنطون تشيخوف» التي تنتهي بالرحيل أيضاً، حيث تعيش صراعاتها الداخلية وآلامها النفسية في مواجهة واقع قاسي لا يرحم، وهي جميعاً تحلم بالماضي الجميل..ولكنها سلبية، غير قادرة على القيام بأيّ فعل، بل تكتفي بالثرثرة حول هذا الماضي الجميل... وحتى في هذا الاطار قد يتعاطف المرء مع الضعف الانساني وهشاشته العالية، ولو من منطلق ذاتي في الحنين الى الزمن الغابر. ولكن هنا حتى هذا الحالة من التعاطف تضيع، هل قتلتها حيويةّ «أماندا» أم برودة الأداء المقابل؟! ما الذي يحتاجه نص غني بكل هذه الأبعاد السيكولوجية والذهنية؟!

لقد كان أداء (رامون ـ زيناتي قدسية) لدور المستلب عالي التقنية، حتى أنه يبدو مُستلباً في دوره ذاته. وقد بدأ البعض باتهام زيناتي قدسية ذي التجربة المسرحية الطويلة بالوقوع في مَطب التكرار والتنميط. فنحن لم نكن أمام (رامون) بل أمام زيناتي قدسية يؤدي دور «رامون».

وفي حين نجحَ كل من «جابر الجوخدار» و«لويز عبد الكريم» بدور «روسينا» خادمته في تشكيل أداء مختلف ولو كان قليلاً، بسيطا لكنه حاضر، يحاول عكس آلام وعوالم هذه الشخصيات، فقد كانت المفاجأة الموجعة مع الفتاة «جيانا عيد» التي قست على الدور والشخصية بحضورها الطاغي، وانفعالاتها الزائدة التي بدت أحياناً باردة، ومع شخصية تتطلب أداءً من نوع آخر، تغيب فيه جمالية جيانا الذاتية لتظهر جمالية الألم والانكسار، وقسوة الهشاشة التي تحكم شخصية «خينوبيبا».

وهكذا ضمن هذا الانفصال بين روح النص وأداء العرض، شعر المتلقي بالملل، مع نص غني بدلالته الفلسفية والتاريخية، نص يُحيل الى عوالم وصراعات مختلفة. وربما كانت الرقصة الاسبانية التي أداها الثنائي (والي وقدسية) بكل رشاقة هي العامل الذي نجح في كسر سلبية المتلقي ـ المبررة ـ واعادته الى عالم الصالة المسرحي، هذا بدوره يدفعنا لنتساءل عن سر هذه الرقصة، التي اخذت تتكرر في كل عرض سوري تقريباً، وان أتت هنا ضمن سياق مُنسجم مع روح النص وجو العرض، فقد أتت في عروض كثيرة أخرى بمناسبة ومن دون مناسبة، وكأنها قد غدت ثيمة للعرض السوري تضمن علامة جيدة لصالحه!!

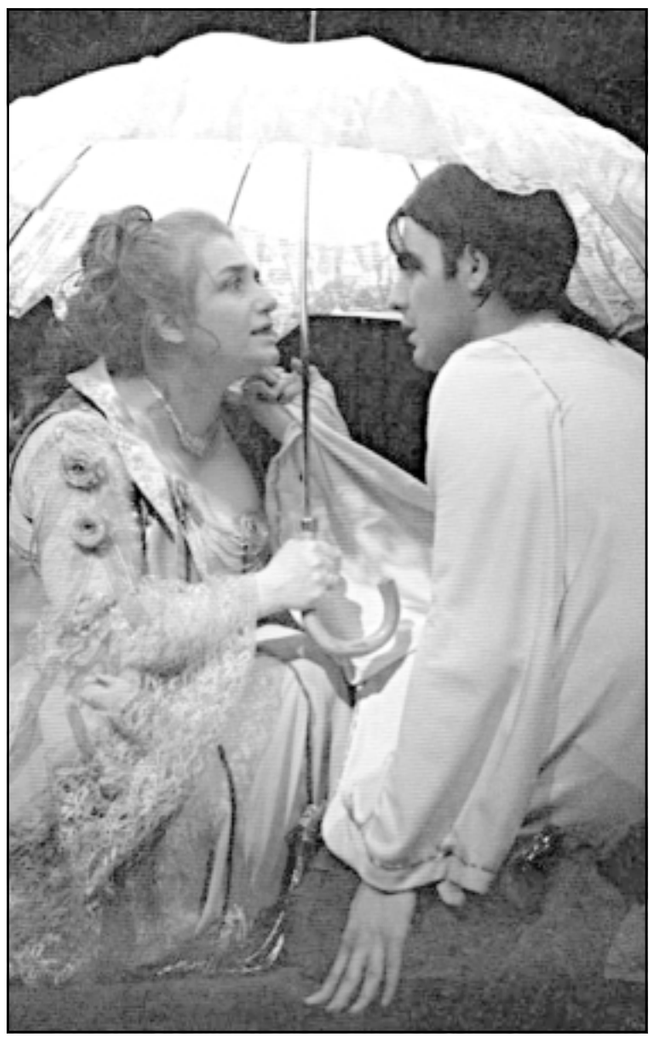

جيانا عيد وجابر جوخدار في مشهد من المسرحية (القدس العربي)

مهرجان الاسكندرية للسينما يكرمه عن مجمل اعماله في ايلول المقبل:

عزت العلايلي: السينما لا تهملني وارفض ان اكون «خيال مآتة»

القاهرة ـ «القدس العربي» ـ من عمر صادق:

يكرم مهرجان الاسكندرية الدولي للسينما في دورته المقبلة التي تعقد في شهر ايلول (سبتمبر) المقبل الفنان الكبير عزت العلايلي باهداء درع المهرجان له وعقد ندوات على هامش العروض تتناول سيرته الفنية ومشواره وبطولاته التي حققها على مدى 40 عاما.

كان مهرجان الافلام الروائية قد كرم العلايلي عن مجمل اعماله في السينما بالشهر الماضي.

يقول عزت: هذه اول مرة يتم تكريمي مرتين من خلال مهرجانين يقامان في مصر، وأنا سعيد جدا بهذا التكريم الذي يؤكد ان سنوات عمري لم تذهب هباء لأن وراءها عملا وكفاحا وأنا فخور بما قدمت على المستوى المحلي والعربي.

■ السينما تكرمك كثيرا رغم ان بدايتك كانت خلال التلفزيون فما السبب؟

■ هذا صحيح مع انني كنت في عز مجدي ايام عملي على الشاشة الصغيرة فلم استغن عن السينما والعكس صحيح.

وقد شهدت فترة السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي العصر الذهبي لسيرتي الفنية حيث قدمت اكثر من 200 فيلم طوال هذه الرحلة، والتلفزيون ايضا قدمت له الكثير ابتداء من عبدالله النديم وخان القناديلي وحتى آخر مسلسل الذي يعرض حاليا (المنصورية).

■ برغم ان مهرجان الاسكندرية يكرمك في دورته المقبلة، ألا ترى ان السينما أهملتك في السنوات الاخيرة؟

■ السينما لا تهمل احدا، كل فنان له دور، انا لا استطيع في هذه السن ان اظهر في دور طالب جامعي او عريس صغير السن، السينما هي ظل المجتمع وعندما اجازف بتقديم نفسي بصورة غير واقعية افقد فيها مصداقية الآخرين، وأنا ارفض ان اكون ظلا او صورة بلا معنى، او (خيال المآتة).

■ برغم ان المخرج يوسف شاهين قدمك في اهم افلامه «الأرض» إلا انك اعلنت الحرب عليه مؤخرا فما السبب؟

■ لم اعلن الحرب على شاهين، والاختلاف في الرأي ليس معناه ان نحول الساحة الى قتال وصراع حيث الاسلحة فيها مشروعة، ما قلته انني لم اعد اقبل ما سبق ان قدمته في الماضي وذلك لاختلاف التجارب والخبرات والمناخ ايضا، فما كنت أوافق عليه مثلا منذ 10 سنوات لا استطيع ان اقبله الآن ويبدو ان كلامي لم يعجب البعض فصور الموضوع على انه معركة حربية.

■ وماذا يربطك بشاهين حاليا؟

■ كل خير.

■ اختفاء كبار الكتاب عن السينما، هل اضر بها؟

■ بالتأكيد لأن كبار الكتاب يمثلون خلاصة أجيال متعاقبة وأشبههم بالفلاسفة، والفلسفة كما نعرف جميعا نأخذ منها الفكر، والفكر ينتج أدبا والأدب ينتج دراما وهذا معروف على مستوى العالم كله.

■ رأيك فيما تبثه الفضائيات من دراما ومواد فنية وبرامج؟

■ الفضائيات تبث (الهلس)، لا توجد دراما في السينما والمسرح والتليفزيون.

■ بعض المثقفين يتعاملون مع أزمة السينما على انها أزمة فكر؟

■ السينما قبل ان تكون صناعة وتجارة هي فكر، وطالما ان الفكر اختفى فلا بد ان يكون هناك شيء خطأ، انا معك ان السينما تعاني بالفعل من ازمة فكر، وأن المثقفين على حق في رأيهم مئة في المئة.

■ هل تأثرت بمن سبقوك؟

■ لا يوجد نبت شيطاني، كل شيء في الدنيا له جذور وأصول، وأنا شخصيا ارفع القبعة للرواد الكبار امثال الريحاني وطليمات وزكي رستم والمليجي وما زلت رغم مشواري الطويل اتعلم منهم، فهم جيل من الاساتذة المحترمين الذين لن يتكرروا مرة اخرى.

■ مشهد لفنان لا يزال في ذاكرتك؟

■ عندما شاهدت الفنان الكبير محمود المليجي في فيلم «الارض» وجسده مليء بالدماء بعد تعذيبه على يد قوات الاحتلال، هذا المشهد لا يزال عالقا في ذاكرتي ولن أنساه رغم مرور اكثر من 36 عاما على انتاجه.

■ تعتز بفيلم «الارض» رغم حصول فيلم «الاختيار» على جوائز مهمة في مهرجانات مهمة فما السبب؟

■ أنا شخصيا اعتز بكل أفلامي مثل «السقامات» و«أهل القمة» و«المواطن مصري» و«التوت والنبوت» و«الطريق الى ايلات» وغيرها لسبب بسيط، انها حصلت على جوائز مهمة فعلى سبيل المثال فيلم «الاختيار» حصل على الدرع الذهبي من مهرجان قرطاج عام 1965، كما حصلت افلامي على تكريم الدول العربية والاجنبية وجامعاتها.

■ معروف انك قدمت نفسك عام 1967 ككاتب من خلال حلقات «اعرف عدوك» لماذا لم تستمر التجربة؟

■ اعرف عدوك لم تكن اول تجاربي في مجال الكتابة، اذ سبقتها تجربة ايام مسرح التلفزيون بعنوان «ثورة قرية» عام 1964 وتحولت الى عرض مسرحي لعب بطولته آنذاك صلاح قابيل وعادل امام ورشوان توفيق واخرجها حسين كمال.

■ لكن لماذا توقفت عن الكتابة؟

■ نكسة 1967 كانت وراء هذا التوقف، شعرنا جميعا بهول الصدمة وكرهنا كل شيء وقتها، وضاع الحلم ولكن عدت مرة اخرى للكتابة من خلال تسجيلي سيرة حياتي في نقاط من خلال تدوينها في نوتة صغيرة.

■ هل تفكر في بيع قصة حياتك للفضائيات كما يفعل الآخرون؟

■ لا أحب ان أبيع عمري مقابل كل أموال الدنيا، هذه فكرة مرفوضة.

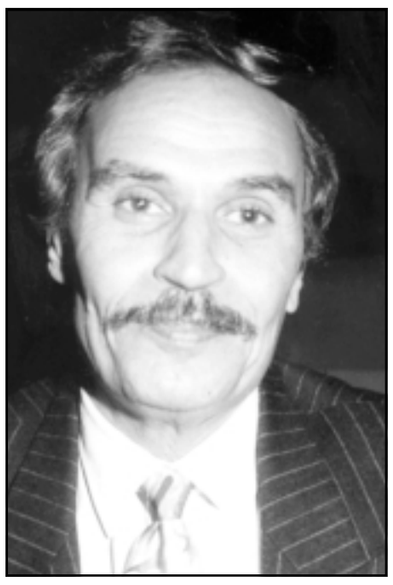

عزت العلايلي (القدس العربي)

مسرحية «حلم ليلة صيف»: وليم شكسبير السويدي في كرنفال صيفي

ستوكهولم ـ «القدس العربي» ـ من عصمان فارس:

من تأليف وليم شكسبير مسرحية «حلم ليلة صيف» والتي كتبها في ما بين العامين 1594 و1595، معظم البحاثة يعتبرون هذه المسرحية كتبت خصيصا للاحتفال بعرس احد النبلاء وتستمد مادتها من مصادر ثقافية وأدبية متعددة كما تستمدها من الفولكلور. مسرحية رومانسية كوميدية تحوي اللغة الشعرية والصور الطبيعية والموسيقى الحية المصاحبة لهذه المسرحية من انتاج وتقديم فرقة مسرح «stads teater» في ستوكهولم، تأليف وليم شكسبير واخراج الكسندر مورك وسيتوغراف اولاف مرتفيد وتمثيل الممثلة فريدا هالكرين، ريكاردو ولف، ماريا صلاح، أندرس كوندر، كارل أوكي، ريشارد سروجي، ايفابومان، يوهان يوليسين، دان اكيوري، والممثل ستيفان اكمان مع مشاركة عدد كبير من الراقصين والكورال الغنائي وبمصاحبة فرقة ستوكهولم للموسيقى.. يدخل الجمهور الى صالة مسرح مدينة ستوكهولم، المسرح مغلق بواسطة ستارة ضوئية مع صورة كبيرة للصيف في اليونان وكذلك في السويد لدن مثل اثينا وستوكهولم.. ترفع الستارة الى الاعلى واذا نحن في مواجهة مسرح داخل المسرح ساحة عامة وفرقة موسيقية تعزف وكورال غنائي للشبيبة السويدية ـ فرقة مسرحية تجري الاستعدادات لتقديم مسرحية ومؤلف يبحث عن ممثلين لإقناعهم واختيار الادوار المناسبة لتقديم مسرحية النص من تأليف شكسبير وبطريقة بيراندلوا مسرح داخل المسرح اي مسرحة المسرح.. المسرح مكتظ بالحركة البصرية وحركة الممثلين بطريقة الميزانسين المسرحي وفق خطة اخراجية مدروسة لحركة المجاميع.

حاول المخرج الكسندر تأجيج وتحريك الخيال في النص الشكسبيري وخاصة النص الكلاسيكي وحوله المخرج الى عرض معاصر وقريب من المسرح الاستعراضي الراقص والغنائي «Revy teater» استفاد المخرج من مساحة المسرح وتقنياته فأدخلنا في كرنفاله المسرحي وطقس الغناء والرقص وعالمه السحري، وتعيش واقع وزمن المسرحية الصيف في موسمه بعد موسم شتاء قارس ونحن بأمس الحاجة الى الدفء وحرارة الشمس وفق الطقس السويدي الثلجي في موسم الشتاء، وكم نشتاق الى موسم الصيف بألوانه الزاهية والطبيعة الخلابة، لعبة مسرحية جميلة وممتعة. سواح اجانب وزوار اجانب قصدت البلد لغرض السياحة والبروتوكول، وكل محاولات التجريب في النص الكلاسيكي لن ينقص من قيمة النص المسرحي وقد وظفت الفرقة الموسيقية كل أدوات الرقص والموسيقى والضوء واللون توظيفا دراميا ودراماتيكيا يحوي كل عناصر الشوق والمتعة والقيم الجمالية والسينوغراف الراقي والمدروس بطريقة هندسية محسوب لها كل الحساب والدقة في حركة المجاميع كل حسب مراكز وكيميائية الفعل المسرحي، مجاميع من الشبان والشابات والعشاق في حركات جميلة، اجساد تتحرك وفق رشاقة وفن الحركة. واداء الفرقة المسرحية واجراء البروفات المسرحية لغرض تقديم مسرحية «مسرح داخل مسرح» مسرحية مليئة ومشحونة بالخيال والحلم الجميل الى جانب عوامل مهمة في التمثيل الصادق والاداء الحر للممثلين، اربع ساعات لن يشعر المتلقي بالملل بل اشترك المتلقي في اللعبة المسرحية من خلال المشاركة في الغناء لموسم الصيف والتصفيق مع الكورال اثناء عزف الفرقة الموسيقية اغاني قدوم فصل الصيف السويدي.

نحن في حلم كرنفال او في دعوة الى حفلة. في هذه المسرحية يتم التحضير وتبديل الملابس والديكور وكل ادوات المسرح من اكسسوارات وتغيير قطع الديكور المتحرك في كل الاتجاهات.. كل شيء يوحي ان المكان مهيأ للفرح، علب فارغة من المشروبات الروحية غطت ارضية المسرح في جو أسري ميهج يوحي لنا كيف يحتفل الشعب السويدي في عيد منتصف الصيف، الكل يرقص ويغني فجأة تظهر شجرة كبيرة وستارة المسرح تتحول الى غابة الناس تركض وسط الغابة والكل يرقص ويدور حول الشجرة المزينة بالزهور.. وفي هذه اللحظة الغى المخرج الجدار الرابع وشارك الممثلون وهم في وسط الجمهور لغرض مشاهدة العرض المسرحي ـ مسرح داخل مسرح. وصرنا نردد ونغني معهم صرنا جمهور للفرقة المسرحية، لقد انعش المخرج الكسندر وكل العاملين في مسرحية «حلم منتصف الصيف» الروح الخيالية وبيئة المتعة والتشويق وصرنا نعيش في عالم فتي صنع خيالة وليم شكسبير وجسده المخرج الكسندر مورك وفريقه العائلي والفني، اشعرونا اننا كنا جزءا من العائلة او بالاحرى افراد الاسرة الفنية، او مدعوين لحضور احتفال مسرحي ساحر وسمات اللعبة المسرحية المكشوفة.

سادت الكوميديا وأجواء الفرح وديمومة تحريك الخيال والتحليق ما بين عالم الجن والانس، وتحريك قلوب العشاق من فتاة الى فتاة ورمي سهام العشق والغرام في القلوب ويرجع العاشق الى حبيبته وتسود اجواء المحبة والغرام، وتحويل المكان وتغيير البشر الى حديقة مليئة بأزاهير الحب.

استطاع المخرج ان يفجر عوامل ومجسات الابداع في النص من لحظة الى لحظة اخرى وكيف لا؟ انها فرقة مسرح مدينة ستوكهولم قمة نجوم المسرح والسينما والتلفزيون السويدي يتميزون بقدرات فنية وكفاءة عالية وخيال خلاق والحضور الفني الرشيق والجميل. الكل يغني والكل يرقص الكل متمكن من ادواته وقدراته التمثيلية ـ حقا لقد خلقوا الحياة على خشبة المسرح وتميزوا بقدرة وكفاءة عالية وخيال خلاق.

ونحن حلقنا ورقصنا معهم، فبعث فينا المخرج روح الحياة والشكل والجسد، وخلق لنا روحية العرض المسرحي أي الحاضر الحي. ومسرحية «حلم منتصف الصيف» لشكسبير وهبت لنا الحياة وجمال البشر والطبيعة وجمال الالوان، وفي الختام عزف الجميع: المخرج وكل الممثلين والعاملين ومعهم الجمهور معزوفة وسمفونية الحياة وشروق الشمس ودفء الحياة وانشراح القلوب بقدوم الفرح القادم.

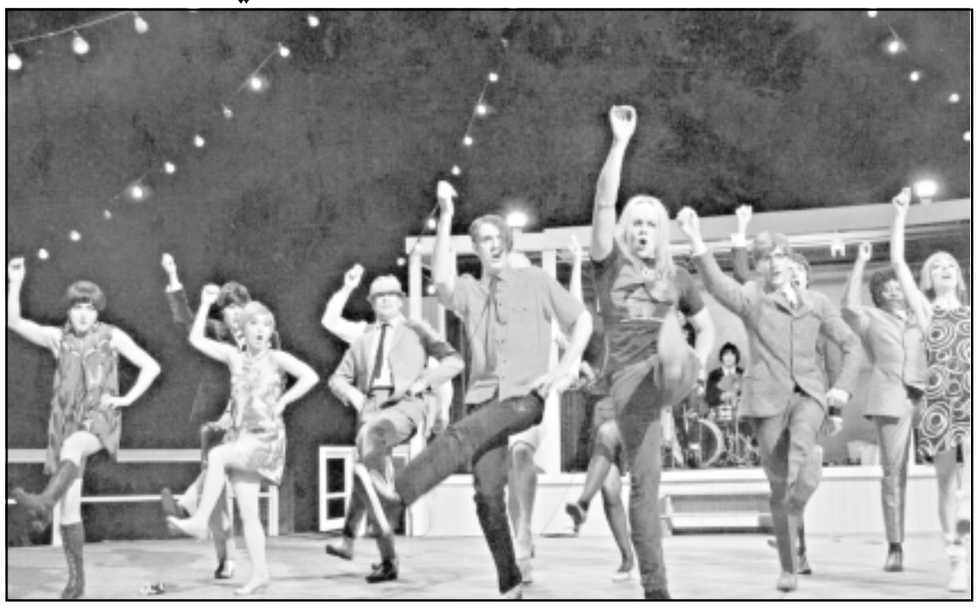

مشهد من مسرحية «حلم ليلة صيف» (القدس العربي)

فضائيات

المستشارة نهى الزيني على «دريم»: عندما تجد في مصر شيئا تفخر به

هويدا طه*

■ كان سبقا بلا شك لقناة «دريم» ان تستضيف هذه الشخصية الجميلة.. المستشارة نهى الزيني، التي حفّر اسمها حفرا في ذاكرة الحركة الوطنية المصرية عندما كتبت علنا (شهادة حق).. شهدت فيها من خلال مقال منشور ان تزويرا مبينا مروعا حدث في دائرة انتخابية بدمنهور.. كانت تشرف عليها كقاضية في الانتخابات البرلمانية الاخيرة.. لصالح مرشح الحزب الوطني الدكتور مصطفى الفقي ظلما للمرشح المنافس د. جمال حشمت مرشح الاخوان، واحدثت تلك الشهادة فورانا في مصر امتدت آثاره حتى اللحظة، لاسباب عديدة.. بعضها كان تفويرا لتساؤلات اخرى ظلت كامنة قبل ان تبدأ مصر حراكها السياسي الاخير، وطوال تلك الفترة ورغم صدمة شهادتها العلنية وما اثارته.. لم نر طوال الشهور الماضية حضورا للمستشارة نهى الزيني في اي وسيلة اعلام، فارتبط موقفها الشجاع البطولي بصورة قديمة نشرت لها في الصحف.. سيدة محجبة حجابا صارما تتوفر عنها بعض المعلومات في انها من اسرة لها باع في سلك القضاء والى حد ما تنتمي لشريحة عليا في الطبقة الوسطى بحكم منصبها ومناصب افراد اسرتها، وظل الامر بالنسبة لصورتها في الاذهان في تلك الحدود.. قاضية شجاعة لم يخف على المواطن المصري ايضا (تاء التأنيث) في شجاعتها، لكن قناة «دريم».. لا نعرف كيف.. اقنعتها لتظهر في برنامجها الاشهر والاروع العاشرة مساء.. لنجد انفسنا امام شخصية تفوق الانطباع بأنها (مجرد قاضية شجاعة).. فرغم حجابها الصارم (الذي هو خيارها الخاص وحقها الخالص على كل حال) بدت شخصية عميقة رفيعة المستوى وطنيا واخلاقيا.. فاهمة بعمق مكامن المأزق المصري.. عندما قالت: «مصر بلد عريق والتغيير في البلاد العريقة يكون اصعب كثيرا وابطأ منه في بلدان اخرى ليس لها تلك العراقة»، قد يضيق البعض بملاحظة عنصر (الحجاب الصارم) في تلك الشخصية.. لكن هذا راجع الى خبرتنا الطويلة بالكثير من الشخصيات النسائية العامة المحجبة.. اللاتي لم نلحظ منهن سوى انغلاق مروع على فهم سطحي (عبودي النزعة) للدين والحياة والموت والثقافة والوطنية ومفاهيم الانسانية الاخرى.. ليس لديهن هذه النزعة (التحررية الاصيلة) التي لمسناها في المستشارة نهى الزيني التي وصفت المجتمع المصري بصدق وشجاعة رغم حجابها بأنه (مجتمع ذكوري) لا يقدر للمرأة حقها الانساني وتساويها (الاصيل) مع الرجل في كل شيء ـ كانسان ـ كما اعترضت على الاخوان المسلمين من منطلق اننا جميعا كما قالت: «كلنا اخوان مع بعضنا البعض ـ من الاخوة ـ وكلنا مسلمون» وقالت عنهم انهم: «قانونيا جماعة محظورة وادبياتهم ليست كلها ظاهرة على السطح»، كما عابت على حزب التجمع ـ اليساري ـ عدم تواجده في الساحة في تلك اللحظة من لحظات تقرير مصير مصر (وان كان ذلك النداء منها هو بالطبع نداء لمن لا حياة فيه!)، هذا الخطاب الذي تبنته تلك السيدة المتميزة (متميزة فكرا.. ومتميزة ايضا بهذا البريق الاخاذ في عينيها.. الذي يعكس ثقة بالذات والوطن.. تلك الثقة.. يا الهي كم افتقدناها!) خطاب لم نعتده من المحجبات.. لذلك فقط لاحظنا هذا (الحجاب الصارم) على رأس المستشارة الرائعة.. التي بدت صادقة وهي تؤكد ان انحيازها لقول الحق لصالح المرشح المظلوم في ذلك التزوير المبين لم يكن لكونه اخوانيا وقالت لو كان يساريا او ايا كان.. لم يكن ليتغير الامر، وكانت محاورتها منى الشاذلي كعادتها تحاورها بأدبها الجم مثيرة كل الاسئلة التي يمكن ان ترد في ذهن المتابع للحوار.. لتعطينا اجابات المستشارة الثرية.. التي اشعرتنا ان احد اهم نتائج الحراك السياسي في مصر على مدى العامين الاخيرين أن دليلا وراء آخر يخرج الى السطح بأن الشعب المصري ليس شعبا ميتا.. ابدا.. ففيه كل هؤلاء الذين يعيدون لنا يوما بعد يوم (لذة الشموخ) وايلاء الكرامة المنزلة الاولى.. بمثل مكي وبسطاويسي ونهى الزيني وغيرهم.. فان الشعب المصري ليس شعبا ميتا.. وانما ربما هو رغما عنه.. شعب (مدفون بالحيا)..

برامج محلية في شبكة «اوربت».. تفتقدها قنوات كبرى

■ في شبكة «اوربت» هناك نوعية من البرامج شديدة الذكاء.. برنامج (عيون بيروت) وبرنامج (القاهرة اليوم) وبرنامج (من الرياض) وربما غيرها من تلك النوعية من البرامج التي لم يمكن مشاهدتها كلها.. برامج لا تتعمد (عورية القضايا الى حد التمييع).. ففي عيون بيروت يجد المشاهد اللبناني (ذاته)، قضاياه المحلية.. مشاكله الخاصة من مشاكل المرور في شارع الحمرا وحتى التنابذ الطائفي والزينة والازياء وغيرها مما يهم اللبناني ذاته، وفي برنامج «القاهرة اليوم» يتابع المشاهد المصري دور الاعلام في مطاردة وفضح الفساد وراء غرق العبارة المصرية او في صحيفة «الاهرام» او ضحايا انفلونزا الطيور او احتراق اطفال في مستشفى بمدينة مثل بنها او غير ذلك مما يهم المصري بالذات، ويتكرر الامر في برنامج من الرياض للمواطن السعودي ومشاكله.. المختلفة كثيرا عن تلك التي يبحث عنها المصري واللبناني في وسائل الاعلام، على العكس من ذلك تجد في قنوات «الجزيرة» و«العربية» و«الحرة» وغيرها (هاجسا) يتملك صناع البرامج ومقدميها بمحاولة (عوربة) كل قضية يتعرضون لها اعلاميا (باستثناء الشأنين الفلسطيني والعراقي!) فتجد المذيع يقترب من التشنج اذا تحدث احد الضيوف في برنامجه على سبيل المثال عن شأن او مثال محلي من بلده، ويطالبه ان (يبقى في نطاق العالم العربي).. هاجس غير واقعي وغير ممكن.. ان يشاهدهم (كل) الناس.. نتيجته ان يهجرهم كل الناس! تمييع للقضايا يتجاهل ذات المشاهد تماما.. في حين انه ليس هناك من شيء يضطره ان يصغي اليهم وامامه خيارات اخرى اكثر ذكاء! ينبغي على تلك القنوات المرموقة اذن ان تنزل قليلا الى حواري وازقة (العرب) في بلدانهم.. ان تخصص برامج لكل منطقة عربية على حدة.. والا ما الذي يضطرني ان اشاهد برنامج يناقش (الديمقراطية في العالم العربي) على احدى تلك القنوات.. ولديّ خيار بأن اشاهد مناقشة عن الديمقراطية ـ في مصر بالذات ـ على قناة اخرى؟! طبعا ليس الشأن المصري بحد ذاته هو الذي يهم ملاك تلك القناة!.. وانما هو ذكاء التوجه الى مشاهد.. متشوق لمتابعة ما يعبر ـ مباشرة ـ عن مشكلة واجهته ـ مثلا ـ على طرقات مدينته.. في صباح يوم اذاعة البرنامج!

البرامج الحوارية التلفزيونية: قل لي ماذا تناقش.. اشاهدك!

■ كثيرون يرون ان التلفزيون يختلف عن الاذاعة في ان التلفزيون صورة اولا وقبل كل شيء، بينما الاذاعة رأسمالها الكلمة المسموعة، ومن هذا المنطلق ينشأ الاتهام للبرامج التلفزيونية (الحوارية) التي تستضيف شخصيات في كافة المجالات للحوار معها حول قضايا في مجالها.. بأنها (حكي في حكي) وكأنها للاذاعة وليست للتلفزيون، ولفترة طويلة كان هذا الموقف من البرامج الحوارية مقنعا الى حد كبير بين العديد من الناس.. مشاهدين كانوا او حتى عاملين في حقل الاعلام التلفزيوني تحديدا.. ولكن نظرة اكثر عمقا للامر قد تهز رسوخ هذه الفكرة.. فالبرامج الحوارية عموما ـ سواء اذاعية او تلفزيونية ـ اذا كان الحوار فيها يدار حول قضية تهم قطاعا كبيرا من المشاهدين.. فانه يجذب الناس ليس فقط لمعرفة كل او معظم خيوط تلك القضية.. وانما ترسخ في وعي هذا المشاهد فكرة (النقاش).. فكرة ان تكون هناك (حجة) لطرف تساند موقفه او حجة عليه، وهذا من شأنه تنشيط العقل العربي (المسترخي) الذي اعتاد لقرون (التلقي والاستجابة) ولم يعتد على النقاش والمجابهة في الحوار، او باختصار لم يعتد على الرأي والرأي الآخر.. وهو شعار وان كانت اختارته قناة «الجزيرة» لنفسها بذكاء شديد فهي بالتأكيد لم تخلقه وليس قاصرا عليها.. بل هو احد مطالب المبدعين التقدميين من البشر منذ فجر تكوين المجتمعات الانسانية، لكن عندما يكون الحوار في التلفزيون فهو ـ في رأي البعض ـ يضيف صورة المتحدث اليك.. كمستمع للنقاش او مشارك فيه، ما يعني فعالية اكثر.. فالنقاش يدور بين اناس يرون بعضهم ويراهم المستمعون/المشاهدون. لكن ربما الموقف من برامج التلفزيون الحوارية باعتبارها (حكي في حكي) ليس لانها حوار اذاعي مدعم بالصورة ـ فتلك ميزة وليست عيبا ـ وانما لأن موضوعات النقاش هي التي تكون غالبا مملة وغريبة على المشاهد.. فتتهم فيها الصورة، على سبيل المثال فان هناك (بعض) البرامج الحوارية على قنوات «الجزيرة» و«الحرة» و«العربية» ـ وهي قنوات مرموقة ـ يفضل بعض المشاهدين السجن على ان يتابعوها! بينما برنامج العاشرة مساء على قناة «دريم» مثلا وهو ايضا برنامج يستضيف اناسا يتجادلون لكنه مع ذلك يبدو جذابا ويشد الناس.. والفرق ليس فقط ان مقدمة البرنامج منى الشاذلي فيها (شيء ما مريح) ولها ابتسامة جذابة وليست مضطرة للاستسلام الى (تخشب العربية الفصحى).. وانما السبب الأعظم هو اختيار الضيوف واختيار الموضوعات التي يدار حولها النقاش، لا يعقل ان يظل الناس يستمعون لنفس الاشخاص لما يزيد عن عقد كامل! ولا يتوقع من المشاهد ان يربط ساقيه في كرسي امام التلفزيون ليستمع الى مفاهيم مجردة! برنامج العاشرة مساء يبدو فريق انتاجه اكثر ذكاء.. فهو ايضا يناقش احيانا مفاهيم مجردة.. ولكن من خلال خبر نشر في الجرائد ذلك اليوم.. او حادثة هزت المجتمع او غير ذلك من (المداخل البسيطة لقضايا عميقة).. بينما يمكنك ان تمر على احدى القنوات فتجدها تعلن عن موعد برنامج يناقش: المرجعية الفكرية في الاتجاه السيميائي نحو تغيير الى ما بعد الايديولوجيات!.. طيب.. شوفوه انتم!

---

* كاتبة من مصر
howayda5@hotmail.com

وارضيات